

ولذلك كان أول معلم وضابط نتعامل به مع السنة أن نستوثق من صحّة ثبوت الحديث .

**المعلم الثاني : الاستيثاق من دلالة الحديث على الحكم :**

وهذا يعني أن نعرف كيف نفهم الحديث ، وكيف نستنبط من الحديث الحكم المراد ، أو المعنى المنشود ، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا أهل الفقه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣) ، وكما قال ﷺ : « مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »<sup>(١)</sup> .

**الآفات التي أتيت السنة من قبلها :**

السنة أتيت من آفات ثلاث : الأولى : الانتحال . والثانية : سوء التأويل . والثالثة : التحريف . كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي وغيره ، وقواه ابن القيم في (مفتاح دار السعادة) : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »<sup>(٢)</sup> . هذه هي مهمّة الخلف العدول ، الأجيال التي حملها الله عبء الحفظ للسنة ، والدفاع

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في العلم (٧١) ، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧) ، عن معاوية .

(٢) رواه البيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٨٨٤) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٣٢) ، وصححه الألباني في المشكاة (٥١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/٧) ، وانظر كلام ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٦٤/١) .

عنها ، والنشر لها ، هؤلاء الخلف العدول مهمتهم أن ينفوا عن علم النبوة ، وميراثها ، تحريف الغالين .

### الآفة الأولى : تحريف أهل الغلو :

ففي الحديث اعتبر ﷺ الغلاة محرفين ؛ لأنهم غيروا طبيعة الإسلام السهلة الميسرة الوسطية ، إلى طبيعة أخرى ، تكلف الناس شططا ، وترهقهم عسرا ، وشرعوا فيه ما لم يأذن به الله ، وحرّموا على الناس ما أحلّ الله لهم .

وقد سجّل القرآن عليهم ذلك حين قال : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧) ، ولهذا روى ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ : « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »<sup>(١)</sup> .

### الآفة الثانية : انتحال أهل الباطل :

وهناك انتحال أهل الباطل الذين يكذبون على رسول الله ﷺ ، ويحاولوا أن يدخلوا على هذا النهج النبوي ما ليس منه ، وأن يلصقوا به من المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته ، وترفضه

---

(١) رواه أحمد (١٨٥١) وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم ، والنسائي (٣٠٥٧) ، وابن ماجه (٣٠٢٩) ، والحاكم (٤٦٦/١) ثلاثهم في المناسك ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣) ، عن ابن عباس .

عقيدته وشريعته ، وتنفر منه أصوله وفروعه . وللأسف أن كتبنا امتلأت بهذه الأحاديث الموضوعية ، لا يكاد يخلو كتاب منها ، كتب المفسرين مملوءة بأحاديث من هذا النوع ، ونجد عدداً من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والثعالبي وإسماعيل حقي يذكرون الحديث في فضل كلِّ سورة ، وهو حديث مكذوب بالإجماع! ففي آخر كل سورة يقولون ورد كذا وكذا في فضل هذه السورة .

وللأسف وجدنا صاحب (روح البيان في تفسير القرآن) يدافع عن إيراد هذه الأحاديث ويقول: الأحاديث الموضوعية لا حرج فيها إن كانت دفاعاً عن الدين ، أو ترغيباً في مكرمة من المكارم ، أو فضيلة من الفضائل ، والذين يذكرون حديث: « وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »<sup>(١)</sup>. هذا فيمن كذب عليه ، أما هؤلاء فقد كذبوا له ﷺ ولم يكذبوا عليه<sup>(٢)</sup>. يعني أنهم كذبوا للمصلحة . مصلحة الدين فيما زعموا !!

كأن هذا الدين دين ناقص ويحتاج إلى مَنْ يكمله بالكذب! لقد أغنانا الله تعالى بالصدق عن الكذب ، وبالحق عن الباطل ، فهذا عذر أقبح من ذنب ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)

(١) سبق تخريجه ص ١٧ .

(٢) راجع : تفسير روح البيان لإسماعيل حقي (٥٢١/٣) ، طبعة دار إحياء التراث .

وللأسف الأحاديث الموضوعية موجودة في كتب التفسير ، وفي كتب الحديث نفسها ، حتى في مستدرك الحاكم ، وفي سنن ابن ماجه ، أحاديث موضوعة! ومسند أحمد فيه أحاديث ، وقد حاول ابن حجر أن يدافع عنها ، والكثير منها ذكره شيخه الحافظ العراقي ، والحق مع الحافظ العراقي ، وهو إمام متبحر .  
والحفاظ المتأخرون يصعب عليهم جداً الحكم على حديث بالوضع . عُرف ذلك بالاستقراء .

وكذلك نجد كتب التصوف مليئة بالأحاديث الموضوعية ، كتاب مثل (إحياء علوم الدين) مليء بهذه الأحاديث الموضوعية والتي لا أصل لها ، وكثيراً ما يقول الحافظ العراقي : لم أجد لها أصلاً . يعني : ليس لها سند معروف ، وحاول شارح إحياء علوم الدين (الزبيدي) رحمه الله أن يوجد أصلاً لهذه الأحاديث التي لا أصل لها ، وقد استطاع في بعضها ، ولم يستطع في البعض الآخر .

الأحاديث الموضوعية موجودة ، ولا بد أن ننفي انتحال المبطلين عن السنة ، ونصحح ثقافتنا ، فلا يمكن أن تقوم الثقافة الإسلامية على أحاديث مكذوبة على رسول الله .

سئل الإمام ابن حجر الهيثمي الفقيه الشافعي المعروف عن خطيب يرقى المنبر في كل جمعة ويروي أحاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا روايتها؟ فأجاب بقوله : ( ما ذكره من الأحاديث في

خطبه من غير أن يبين رواتها أو من ذكرها فجائز ، بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث ، أو ينقلها من كتاب مؤلفه كذلك ، وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث ، أو في خطب ليس مؤلفها كذلك ، فلا يحل ذلك ، ومن فعله عزر عليه التعزير الشديد ، وهذا حال أكثر الخطباء ، فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها ، من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلاً أم لا ، فيجب على حكّام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ، ويجب على حكّام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه<sup>(١)</sup>.

ولو طبّقنا هذه الفتوى لمنع كثير من خطباء المساجد من الخطابة ، عندما أحضر بعض الخطب الجمعة ، أجد الخطبة لا تخلو من الأحاديث الموضوعية أو الواهية جداً ، أو التي لا أصل لها ، أو المنكرة الشديدة النكارة ؛ ولذلك يجب أن ننقي ثقافتنا من هذا الباطل ، الذي لا يمكن أن تقوم عليه ثقافة ، لا بد أن ننقيها ونصفيها بحيث تقوم على القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢) ، وعلى السنة الصحيحة والحسنة . فعلى هؤلاء الخلف العدول أن ينفوا عن ميراث النبوة تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين .

(١) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ص ٣١ ، ٣٢ ، طبعة دار الفكر .

## الآفة الثالثة : سوء التأويل :

وهناك (سوء التأويل )، الذي به تشوّه حقيقة الإسلام ، ويحرّف الكلم عن مواضعه ، وتنتقص فيه أطراف الإسلام ، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صُلْبِهِ - كما حاول أهل الباطل أن يُدخلوا فيه ما ليس منه - أو يُؤخّروا ما حقّه أن يُقدّم ، أو يُقدّموا ما حقّه أن يُؤخّر .

لقد تعرّض القرآن الكريم لسوء التأويل ، وكذلك تعرّضت السنة للتأويل السيئ ، والفهم الرديء ، من الجاهلين بهذا الدين ، الذين ليس لهم من الرسوخ في العلم ، ولا من التجرد للحقّ ما يعصمهم من الزيغ والانحراف في الفهم ، والإعراض عن المحكمات واتباع المتشابهات ؛ ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويلها ، تبعاً للهوى المضلّ عن سبيل الله . فعلى الخلف العدول أيضاً أن ينفوا عن ميراث النبوة هذا التأويل السيئ ، بالتنبيه عليه ، والتحذير منه ، ووضع الضوابط الضرورية للوقاية من الوقوع فيه .  
تأويل العلماء مقبول ومطلوب :

وإذا كان تأويل الجاهلين مرفوض ، فهذا يعني أن تأويل العلماء مقبول ؛ لأنه سيكون مبنياً على علم وأساس ، فلا يُؤوّل إلا ما يحتاج إلى التأويل . الأصل أن نأخذ الأشياء على ظاهرها ولا نؤوّلها ، لا نصرّفها عن الظاهر إلى معانٍ مرجوحة إلا بدليل يدلّ على ذلك ، هذا هو الأصل .

التأويل لا بدُّ منه ، ولا يخلو منه عالم من العلماء ، بعض الناس يسمُّونه مجازاً ، أو يسمُّونه كناية ، ومن لم يسمه تأويلاً ولا مجازاً ولا كناية يؤول أيضاً ، شيخ الإسلام ابن تيمية لا يسمه مجازاً ، لكنه يؤول ، لأنه لا يمكن الاستغناء عن التأويل .

التأويل قد يوجب العقل ، وقد يوجب الشرع ، وقد توجبه اللغة ، ولذلك لا توجد مدرسة من المدارس الإسلامية - في الكلام أو الفقه أو الأثر أو التصوف - إلا لجأت للتأويل ، وإن تفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً ، ما بين موسّع ومضيق ، وقريب وبعيد في تأويله ، حتى رأينا الإمام ابن حزم الظاهري يلوذ به في بعض الأحيان ، حين لا يجد منه بدأً .

حكى لي الأستاذ مصطفى الزرقا (حفظه الله)<sup>(١)</sup>: أن قانونياً كبيراً من أكبر قانونيي البلاد العربية ، قال له : أنا فتحتُ البخاري ثم قرأتُ فيه : أن النيل والفرات من أنهار الجنة<sup>(٢)</sup> . فتويته ولم أرجع إليه ، كيف يكون النيل والفرات من الجنة ؟ نحن نعرف

---

(١) لم يكن توفي في ذلك الوقت رحمه الله .

(٢) في الصحيح عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة « . . . ثم رفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل أذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار؛ نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . . » متفق عليه : رواه البخاري في بدأ الخلق (٣٢٠٧) ومسلم في الإيمان (١٦٤) .

النيل والفرات من أين؟ النيل نابع من هضبة الحبشة ، أو من البحيرات هناك في أوغندا، بحيرة فكتوريا، وغيرها من البحيرات، بحيرات معروفة ، درسناها في الجغرافيا ، فكيف نقول إنه نابع من الجنة؟! وكذلك نهر الفرات معروف منابعه ، فكيف نقول إنه نابع من الجنة؟! وليت هذا القانوني لم يلقِ الكتاب من أول نظرة ، ولو رجع إلى أحد من أهل العلم ، لعلم أن لهذا الحديث تأويلا .

أبو محمد ابن حزم وأنتم تعرفون أنه ظاهريٌّ ، يعني يأخذ بحرفية النصِّ ، ويجمد على الظواهر ، ويستقتل دونها ، إنما في هذا الحديث ، وفي حديث : « بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »<sup>(١)</sup> ، قال : (هذان الحديثان ليس على ما يظنُّه أهل الجهل ، من أن تلك الروضة قطعة منقطة من الجنة ، وأن هذه الأنهار مهبطة من الجنة ، هذا باطل وكذب ؛ لأن الله تعالى يقول في الجنة ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾  وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ (طه: ١١٨، ١١٩) فهذه صفة الجنة بلا شك ، وليست هذه صفة الأنهار المذكورة ، ولا تلك الروضة ، ورسول الله عليه السلام لا يقول إلا الحق ، فصحَّ أن كون تلك الروضة من الجنة إنما هو لفضلها ، وأن الصلاة فيها تؤدَّى إلى الجنة ، وإن تلك

(١) متفق عليه : رواه البخاري في التطوع (١١٩٥) ، ومسلم في الحج (١٣٩٠) ، كما رواه أحمد (١٦٤٣٣) ، والنسائي في المساجد (٦٩٥) ، عبد الله بن زيد الأنصاري .

الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنة ، كما تقول في اليوم الطيب :  
هذا من أيام الجنة . وكما قيل في الضأن : إنها من دواب الجنة .  
وكما قال عليه السلام : « إن الجنة تحت ظلال السيوف »<sup>(١)</sup> . فهذا  
في أرض الكفر بلا شك ، وليس في هذا فضل لها على مكة ، ثم  
لو صحَّ ما ادَّعوه وظنَّوه لما كان الفضلُ إلا لتلك الروضة خاصَّة ،  
لا لسائر المدينة ، وهذا خلاف قولهم<sup>(٢)</sup> .

هذا من كلام ابن حزم نفسه ، فابن حزم نفسه أوَّل ، فالتأويل  
لا حرج فيه ، بشرط أن يكون من أهل العلم الذين يعرفون  
مجالاته ، وشروطه ، وأنواعه ، أما تأويل أهل الجهل فهو  
مرفوض . فلا بدَّ من حسن فهم السنة .

**المعلم الثالث : فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها  
ومقاصدها :**

ومن حسن فهم السنة ، أن نفهمها في ضوء المقاصد العامة  
للشريعة ، في ضوء الملابس التي جاءت بها الأحاديث المختلفة ،  
لا يمكن أن نقطع الحديث عن ملابسته وسياقه ، وعن المقصد  
العام له ونأخذ بظاهره .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٠٢٤) ، ومسلم (١٧٤٢) ، كلاهما في  
الجهاد ، كما رواه أحمد (١٩١١٤) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٣١) ،  
عبد الله بن أبي أوفى .

(٢) المحلى لابن حزم (٣٣٠/٧) ، تحقيق محمد خليل هراس ، مطبعة  
الإمام ، مصر .